المناجاة الصوفية: تجليات الفناء ورمزية اللغة

امال محمد عامر[1]

كلية الآداب – جامعة مصراتة

تاريخ التقديم: 29-06-2019 ، تاريخ القبول: 21-08- 2019، نشر إلكترونيا في 23-08-2019

https://doi.org/10.36602/faj.2019.n14.01

ملخص البحث:

يعتبر الحب الإلهي بمقاماته وأحواله الحالة الوجدانية العرفانية التي انبثق منها بوح الصوفي ومناجاته الوجدانية، وتشكلت منها لغة مكاشفاته بخصوصيتها، وشعريتها، وجماليتها، وعبَّرت عن معارفهم الذوقية، وذلك مما يكشف عن وثاقة الصلة الوجدانية والفكرية والذوقية في تجربة الصوفي الذوقية في التوحيد الشهودي ولغة مناجاته ومكاشفاته العرفانية.

ومن خلال الخطاب الصوفي بلغته المتفردة نحاول استكناه تجليات الفناء في الحب الإلهي في مكاشفات الصوفي التي تجسدت عبر لغة الكشف والذوق، فخطاب الصوفي في تجربته العرفانية مختلف عن المألوف يوغل في سفره في عالم الوجد والدهشة والحيرة، ويطرح رؤية، هاجسها تجاوز المحسوس والمادي ومحدودية الذات من أجل معانقة المطلق الكلي الجمال، عبر لغة تنفتح على فضاءات روحية من القرب و تجليات الكشف في لحظة الصوفي العرفانية. .

الكلمات المفتاحية: *الفناء، الكشف، البقاء، الصوفية.*

[1] amal.amer@art.misuratau.edu.ly

ISSN 2664-1682

Sufi Monologues: Manifestations of the Courtyard and Symbolism of the Language

Amal Mohamed Amer

Faculty of Arts – Misurata University

Abstract

The divine love is considered to be the emotional and mystical state in which the Sufi mysticism and its emotional complexions emerged, and the language of its mysteries was formed from it. It expresses its knowledge of taste, which reveals the emotional, intellectual, and emotional connection in the Sufi experience of Tawfiq al-Shahoudi and the language of its mysteries and mystical discoveries.

Through the Sufi discourse in his unique language we try to deduce the manifestations of the abyss in the divine love in the mystic discoveries which are embodied in the language of revelation and taste.

***Keywords**: Annihilation, Observation, The state of "subsistence".*

1. المقدمة:

نحاول في هذا البحث أن نتبين تجليات الفناء في الحب الإلهي في مناجاة الصوفي ومكاشفات الصوفي الوجدانية، التي اتسمت بالبوح المنبثق عن الوجد والشوق، وإذاعة خفايا الشهود القلبي في تجربة (الفناء في الحب الإلهي) الصاعد من عاطفة الحب الإلهي، والفناء في المحبوب حيث تجلى المنحى الوجداني الشهودي في مكاشفات الصوفي نثرا وشعرا، فقد كان الحب الإلهي السمة التي ميزت مناجاة ومكاشفات الصوفية الروحية، وكونت

ISSN 2664-1682

معارفهم الذوقية، وذلك مما يفصح عن وثاقة الصلة الوجدانية والفكرية والذوقية في تجربة الصوفي الذوقية في التوحيد الشهودي.

وسنتعرض إلى التصور النظري للصوفي من خلال ممارسته النصية (نثرية أو شعرية) حتى يتضح لنا مدى وفاء الصوفي لتصوراته النظرية ولتجربته الروحية، وقد اعتمدنا في هذه القراءة لتجليات الحب الإلهي في مكاشفات الصوفي العرفانية على المنهج الأسلوبي، القائم على التحليل والاستقراء للنصوص الصوفية، ذلك أن دراسة الخطاب النثري والشعري الصوفي ضرورة للوقوف على طوايا قلوب العارفين، ولنتبين من خلالها ما هو الجهاد الأكبر الذي التزم به الصوفية تقربا إلى الله تعالى. وما الصعوبات التي تواجههم في سبيل التعبير عن مذاقاتهم والأزمات الروحية التي يمرون بها قبل ظفرهم بالمشاهدات الوجدانية؟

1.1 مشكلة البحث وأهميتها

يطرح الخطاب الصوفي بخصوصية لغته وبنيته الأسلوبية وثراء تجربته الروحية جدلا معرفيا من حيث لغته وعوالم تجربته، ومن هنا تكمن أهمية البحث في محاولته سبر تجربة الصوفي الروحية عبر مكاشفات الصوفي باستنطاق نصوصه في معانيها وإشاراتها.

1. 2 أسئلة البحث

- هل استطاع الصوفية من خلال تجربتهم في الفناء في الحب الالهي أن يخلقوا معجما خاصا بمناجاتهم وتجلياتهم القلبية متلائما مع خصوصية تجربتهم الشعورية؟
- كيف تشكلت لغة الرمز والكشف والذوق من تجليات الفناء القلبية؟ وكيف استلهموا الفناء في الحب الالهي كتجربة روحية ومعاناة وجدانية، فأصبحت لغتهم الشعرية والنثرية مرآة تعكس مناجاتهم ومواجيدهم ومكاشفاتهم الذوقية؟

ISSN 2664-1682

1. 3 أهداف البحث:

الوقوف على مناجاة الصوفي وتجليات الحب الإلهي في مكاشافات الصوفية من خلال البنية المعرفية والأسلوبية في خطاب الصوفي، سواء كان شعرا أم نثرا أم مناجاة، ذلك أن قراءة هذه النصوص يظل يفتح آفاقا للاكتشاف المعرفي.

2. المنهج والإجراءات

قد اعتمدنا في هذه القراءة لمناجاة الصوفي وتجليات الفناء في الحب الإلهي في مكاشفات الصوفي وخطابه العرفاني على المنهج الأسلوبي القائم على التحليل والاستقراء للنصوص الصوفية، ذلك أن دراسة الخطاب النثري والشعري الصوفي ضرورة للوقوف على طوايا قلوب العارفين.

3. 1 لغة الصوفي: وطن السر وهمس الإشارة.

كيف يكتب الصوفي (السر) بلغة السر؟ في هذه المقاربة يطرح هذا السؤال نفسه عبر أفق مفتوح على قلق الذات المحبة وخصوصية لغة تلوح وتُلَمِّح ولا تبوح ولا تُصرّح، في بحار الوجد الصوفي تأخذنا مناجاة ومكاشفات الصوفية في حالة الفناء عبر نصوصهم الشعرية والنثرية إلى سفر بلا نهايات، حيث لاوصول، وحيث أمواج ولا رسوَّ، وثنائيات صحو ومحو، فناء وبقاء، ميلاد متجدد وإشراقات في حضرة المكاشفة.

وهنا نحاول الإجابة على السؤال: هل استطاع الصوفية من خلال تجربتهم أن يخلقوا معجما خاصا بهم متلائما مع مواجيدهم وتجربتهم الشعورية؟ وكيف استلهموا التصوف كتجربة روحية ومعاناة وجدانية، فأصبحت ممارسته الشعرية والنثرية مرآة تعكس مواجيدهم ومكاشفاتهم الذوقية؟

إن العبارة الصوفية تأخذنا إلى مقامات متتالية مع تصاعد حالة الوجد، والوصول إلى تأويل النص دلاليا يستدعي فهم النص الصوفي من خلال حمولاته الفكرية، ومن هنا

ISSN 2664-1682

كانت أهمية الوقوف على نصوص الصوفية شعرا ونثرا لفهم الخطاب الصوفي واستكشاف رموزه ومفاتيحه من خلال اللغة والمصطلح الصوفي.

وفي الخطاب الصوفي تتجلى سمات أسلوبية بلاغية، ولغة تساؤل الوجدان والذات في مكابدتها لتحقيق التماهي مع المطلق، تستبطن الذات وتعكس توترها النفسي لتنفتح على أفق الرؤيا والكشف والحلم، وترصد قلق الذات المحبة وبوح روحها لذلك فهي تتوشح بأستار السر.

إن لغة الصوفي تتماهى مع الشعر وتتلبس بروحه، تلتقي مع الشعر في أفق الحلم والوجد ومساحة التوتر وزخم العاطفة وفيض المواجيد، لغة شعرية تتجاوز الظاهر إلى المعاني والدلالات اللامتناهية واللامحدودة، مما يجعلها تنطوي على حمولات دلالية وأبعاد رمزية بتوالدها الانزياحي لمفرداتها في تجاوزها للواقعي والمحدد وبوهجها الشعري.

ولأن لغة الصوفي تستعير من الشعر دفقه العاطفي ودهشته، فهي تنفلت من القراءة الحرفية والمألوف إلى أفق الشعرية بعذوبتها ومجازها وطاقتها الوجدانية وضبابيتها التي تجعلها لا تكشف للقارئ خباياها وكنوز معانيها حتى يسافر في عالمها الباطني بقلقه الوجودي.

ذلك أن النص الصوفي منبثق من اللحظة الصوفية للعارف المحب، هذه اللحظة الممتدة في الزمن، تتجلى فيها مواجيد الصوفي ومكاشفاته القلبية، ويتجلى فيها الحب الإلهي في تجرده وشموليته، كما يتجلى الحضور في الحضرة. يقول أبو البقاء الرندي في هذا المعنى: يامن تجلى إلى سِرّي فصيرني ** دكا وهز فؤادي عندما صعقا (الداية،1998، ص134)

فتجلي الحق في حال الفناء في قلب المحب بأنوار التجلي، فتحيا النفس بشهود ربها، إن مكونات النص الصوفي في مكاشفاته تأخذنا عبر حالة الفناء الصوفي من حياة إلى الحياة الحقيقية المطلقة، ينتشلنا من غفلتنا ومن موتنا اليومي إلى ما هو علوي، تأخذنا من الأرضي إلى الكوني، ومن الانفصال إلى الوصال والكمالات الروحية، من ضيق العبارة إلى أفق المجاز

ISSN 2664-1682

والإشارة. وعبر هذه النقطة الارتكازية تتحرك دائرة النص الصوفي في رمزيتها وفاعليتها الإشارية، لتتماهى مع السيرورة الروحية للصوفي في معراجه في مقامات الحب الإلهي، وبالتالي تتوالد في سياق النص الصوفي الدلالات من تشكل اللحظة الصوفية عبر تجليات الصوفي المحب.

فلغة الصوفي في نصوصه هي لغة الإشارة المسكونة بمواجيد المحب الواصل الموصول، وتوق العارف في معراجه الروحي إلى القرب، وهي لغة إشارة بما هي مرآة الباطن ومستودع الدلالة والإيماء، ولسان الأحوال والسر الذي يُستبطن بالحدس والتجربة الذوقية، فكل دلالة منطوية على تفاعلاتها الرمزية، وانزياحاتها اللغوية، وديناميتها الفاعلة، ففي (طسين التوحيد) يقول الحلاج: –"والألف الخامسة هو الحق، والحق واحد، أحد، موحد."(الحلاج،1970، ص65)

وكأن الإشارة هنا (برزخ) ما بين عالمي المادة والشهود، والمحدود واللامتناهي، والبوح الإيماء، والبسط والقبض، والفناء والبقاء، والصحو والمحو، فتتجلى في البناء النصي الحلاجي علاقة الحرف الجزئي بالكلي، وعلاقة الذات بالذات، والجزء بالكل عبر دينامية نص الصوفي وسيرورة فاعليته.

كل ذلك شكل نص مكاشفات الصوفي (النثري والشعري)، ببعده الوجودي، وأفقه الميتافيزيقي، فصار جسدًا يتماهى مع معراج سفره الروحي، ويتشكل من نشوة القرب والبعد والبقاء والفناء.

وفي مكاشفات الصوفي الروحية نثرا وشعرا تتجلى وجودية التجربة وعمقها الروحي وجدلية استمراريتها، كما تتجلى خصوصية النص الصوفي المنبثق من روحانية التجربة وتصاعدها في مقامات الوجد، حيث تتشكل مصطلحاتها ومعجمها الصوفي من داخل تجربة الصوفي، وتتوالد من عمق معاناة الأنا في سفرها في مقامات الحب بما تحمله العبارة

ISSN 2664-1682

الصوفية من ثراء دلالي باعتبارها نسقا سيميائيا يتجاوز المحسوس إلى ما وراءه، مما يتطلب السفر في عمقها للوصول إلى تأويلاتها الدلالية.

ويمتح الصوفي في مكاشفاته من لغة المواجيد، لغة الحب، تتوالد مفرداتها مترعة بالوجد في معراج الشوق وتتوهج بخلجات التوق والمعاناة في محراب الحب، إنها لغة ذوق وأحوال، لغة سر وإشارة لا لغة منطق وعبارة، تومئ ولا تفصح، تهمس بقبس من أنوار مكاشفة عانقت قلب الصوفي المحب، وتثمل ما بين بسط وقبض، وصحو ومحو، وبوح وإيماء، وإشارة ولوامع عبارة، وهو ما يعبر عنه الحلاج في قوله:

كتبتُ إليه بفهم الإشارة ** وفي الأُنس فتشتُ نطق العبارة (الحلاج،2007، ص62)

فالتجربة الصوفية في عمقها هي وصل ووصال وتواصل، وصل ما بين الذات الصوفية ومحبوبها، ووصال ما بين جسد اللغة وروح المعنى في تجليات الذات العارفة المحبة، وتواصل بين الأنا والمعنى للوجود وفق رؤية صوفية تتسامى عن الحسية قوامها الحب الصوفي المتأسس على هذه العلاقة ما بين العبد وربه.

3. 1 مقام القرب: من أسر المادة إلى إسراء الروح:

لعل السؤال الذي يطرح نفسه، كيف يكتب الصوفي مناجاته ومواجيده ومكاشفاته الروحية عبر نص ولغة تنبثق من روحانية التجربة وعمقها وثراءها الوجداني؟ وهل يمكن أن نعتبر مكاشفات الصوفي في حال الفناء تجليات للأنا الصوفية في سفرها في مقامات الحب الإلهي؟ باعتبار التصوف هو نوع من التسامي في الروحانية لقوم ضاق بهم عالم الحس فتساموا إلى عالم الروح، وهو عالم حافل بمعاني الحب والجمال والكمال.

ولا عجب أن يلجأ الصوفية إلى الشعر بكثافته الانفعالية الإيحائية للتعبير عن ذلك السلوك الروحي المتقد حرارة عرفانية نورانية، فما بين الشعر والتصوف علاقة حميمة، فهما يلتقيان في أفق الحلم والحدس، ويتواشجان في مساحة الإشارة والرمز اللامحدودة، وينزعان إلى عالم نقاء القلب وسمو الروح، حيث جعل الصوفية من الشعر وسيلة لتزكية مقولاتهم

ISSN 2664-1682

الروحية والوجدانية المتصلة ببلوغ أعلى درجات الصفاء، كما جعلوا منه مقام إشارة حيث لا يدرك المعنى إلا بالتماهي والمجاهدة ولذلك فهو لا يأتيك وإنما ترحل إليه، ولعل ما تركه الصوفية من تراث شعري صوفي حولوا فيه عاطفتهم إلى معان تنبض روحانية خير من يجيب على التساؤلات المطروحة.

يعبر الصوفي عما وصل إليه في تجربة الحب الإلهي بعد أن امتلأ قلبه بمحبوبه الأسمى، واستولى عليه هذا الحب، فوصل درجة عالية تصاعد فيها الحب، واشتدت جذوته حتى يشعر الصوفي في لحظات وجده بأن روحه تناجي محبوبها (الحق تعالى)، وتفنى إرادته في إرادة محبوبه، عبر عنها سمنون المحب في قوله:

شغلتَ قلبي عن الدنيا ولذتها ** فأنت والقلب شيء غير مفترقِ

وما تطابقت الأحداق من سِنة ** إلا وجدتكَ بين الجفن والحَدَقِ

(القشيري، 1995، ص241)

يزخر النص بمعطيات تعبيرية تنسجم مع تجربة المعاناة الصوفية التي يكابدها الصوفي، حيث يظهر الاعتماد على استعمال الضمائر التي تدل على الطابع الذاتي للتجربة، مثل: ضمير المخاطب (التاء) في (شغلتَ)، و(أنت)، وكاف المخاطب في (وجدتُكَ)، إذ تتعاظم ذات الصوفي.

وتكرار الضمير الذي يشكل أساس النص ومحور التجربة يحمل دلالة مهمة، فهو المؤشر على الذات المقدسة التي تبدو في النص منبعا للطف والحنان والكرم والواردات، بينما يبدو العارف مصدرا للافتقار والخضوع، وهذا مما يشكل جسرا يعبره العارف للوصول إلى ضمان حب الذات الإلهية له وتواصله معها، ويعكس لنا النص الصوفي هنا أنه متأسس على تجربة (الأنا)، فهي تمكنه من سبر أعماق الذات الإنسانية وتحولاتها الوجدانية من حال إلى حال في سفرها الروحي.

ISSN 2664-1682

كما أن ارتكاز النص على الأفعال المنفتحة على الزمن الماضي باعتباره مجال اشتغال الذات الصوفية، وهذه الأفعال تفيد الامتداد والاستمرارية مثل (شغلتَ) (تطابقت) (وجدتُكَ) وتوسله بالزمن الماضي، يشير إلى شوق لاستحضار ما هو غائب، ومحاولة للقبض على زمن يفلت منه، وفي ذروة وجد الصوفي في حال فنائه يصرح سمنون المحب قائلا: يُعاتِبني فيَنْبَسِط انقباضي ** وَتَسْكُنُ رَوْعَتِي عند العتابِ

فلو قيل لي من أنت قلتُ معذّبٌ ** بِنَار مواجيدٍ يُضَرِّمُها الشوقُ

(القشيري،1995، ص246)

تعكس الأبيات بسط الصوفي الذي يتجلى في انتشائه بالشهود وفرحته بالكشف، فهو وجد يتصاعد بقوة حال السكر، وهذه الأبيات تكشف الحالة العالية التي وصل إليه من عرفانيته؛ إذ أصبح السكر كله غيبة ومحو للغير وغيبة وسلب عن الغيرية أو السوى، واستغراق تام في الهوية الخالصة، وهذا هو السكر الناتج عن شهود جمال الحق ونورانيته، وهذه هي غاية الصوفي، ففي الفناء حياة للروح، حيث يتلاشى الكون ويبقى المكوِّن، ولا يكون الكمال إلا بتلاشي وغيبة المحب ليتحقق له البقاء من خلال المحبة الإلهية والمعارف الأزلية (الخمرة) التي ترفع العارف بين يدي الله ليشهد جلاله، ويتجلى هذا المعنى في قول أحمد بن يحي الألبيري:

شربتُ بكأس الحب من جوهر الحب ** رحيقًا بكف العقل في روضة الحب

وخامر ماء الروح فاهتزت القـــــوى ** قوى النفس شوقا وارتياحا إلى الرب

ونادى حثيثا بالأنين حنينـــــــــها ** إلهي إلهي مَن لعبدكَ بالقـــــــرب

(التلمساني، 1968، ص187)

يصور الصوفي أن الشرب من كأس الحب الإلهي لم يزده إلا عطشا وشوقا وتعلقا للذات الصوفية المحبة بمحبوبها، فلا ترى في الوجود سواه، فيعيش الصوفي مستغرقا في التجليات بفعل تصاعد الشوق إلى دوام الاتصال، وفي سكره يفنى بجمال الذات الإلهية عن

ISSN 2664-1682

ذاته بتجلي الحق على قلبه بالفيوضات النورانية، وفي هذا الفناء حياة لروحه؛ ولذلك تظل جذوة الشوق عند الصوفي متصاعدة.

الشوق عند الصوفية هبة خص الله بها المحبين، فمن أحب ربه اشتاق الى لقائه "(الطوسي، 2001، ص245) وقد قسم الصوفية الشوق إلى قسمين: شوق على الغيبة لا يسكن إلا بلقاء الحبيب، وشوق النفوس، وشوق الأرواح على الحضور والمعاينة، فإذا رفعك إلى محل المحاضرة والشهود المسلوب عن العلل فذلك مقام التعريف إيمانا حقيقيا وذاك ميدان تنزل أسرار الأزل. (الطوسي، 2001، ص247)

وفي الأبيات السابقة يتجلى النص الصوفي بينية شكلية فعل ودلالة، (شربتُ) (كأس الحب) (خامر ماء الروح) مفردات حملت دلالة الظمأ والماء والشرب والروح لتشكل صورة ترتبط بالحياة، وفي فناء الصوفي عن السوى بقاء بالحق وحياة للروح، فالرمز الصوفي– كما يذهب إليه أدونيس– هو شكل للاتجاه نحو الأعماق الأكثر اتساعا، والبحث عن معنى أكثر يقينية، فهو اتصال دائم بالعلو في طابعه الإلهي وطابعه الإنساني. (أدونيس، 2006، ص143).

فالصوفي في مكاشفاته الوجدانية الشعرية يتجاوز حسية الصورة إلى ميتافيزيقية مجردة، فيتجلى سفره الروحي متصاعدا في حالة شوقية متصاعدة من الأرض للسماء، ومن المادي إلى الروحي، حيث تسمو الروح في تجاوزها وخلاصها من أسر المادة. ويعبر سمنون المحب في مكاشفاته عن هذه الحالة والذروة العالية من النشوة الروحية في قوله:

قد دبَّ حبكَ في الأعضاء من جسدي ** دبيب لفظيَ من روحي وإضماري

ولا تنفستُ إلا كنتَ مع نَفَسي ** وكل جارحة من خاطري جاري (القشيري، 1995، ص273)

ISSN 2664-1682

يتضح أن الأثر الذي يبعثه النص لا يقف في حدود المعاني الحرفية، وإنما يفتح أمامنا آفاقا نتجاوز من خلالها البعد الحسي الذي يقتل النص، ونبحث فيها عن البعد الإيحائي الذي يتناغم والتجربة الروحية التي مارسها الصوفي على مستوى الفعل والكتابة.

وهو ما يتيح لنا التعرف على الذات المحبة الصوفية، وهي تخوض غمار تجربتها ومعراجها نحو الأعلى، غير أن المعراج لا يتم لها إلا بفعل الخيال وبفعل الحالة الشوقية، وإذا كانت الصورة الفنية تجسيد للمعنوي في هيئة المرئي الحسي وإخراجه من حيز التجريد، فإن الخطاب الشعري الصوفي– كما نلاحظ– فضاء تتعايش فيه المادة والروح، وإن كان احتفاله بالمادة لا يتحقق إلا في طريقة تقرير شعري لموقف روحي يتضح ذلك في اعتمادهم (التشخيص) سعيا إلى المقاربة الصوفية بين ما هو مادي وروحي، كما يتضح في اصطناعهم اصطلاحات وألفاظ تستقي صور معانيها من موضوعات شتى، يعد السكر أبرزها وأكثرها لصوقا بخطابهم.

وكان هذا الارتكاز على الضمائر وأيضا أسلوب النداء لكونها تعبر عن مطلق حاضر غائب، وفي إطار الصيغة التحاورية نجدها منطلقا للتبادل الخطابي وبواسطتها تتبادل أنا /أنت الأدوار ضمن السياق التخاطبي، وبالتالي أدى بروز الصفات والأقوال التابعة للضمائر إلى تجسيد فاعلية المفاهيم الصوفية القائمة على ثنائية الحضور والغياب، والسكر والصحو.

3. 3 تجليات نورانية وفيوض عرفانية:

في هذه المرحلة من السفر الروحي للصوفي، لا حال للعارف؛ لأنه مُحيت رسومه، وفنيت هويته بهوية غيره، وغُيبت آثاره بآثار غيره. (البسطامي، 2004، ص163) حيث

ISSN 2664-1682

تنمحي الكثرة وتتجلى الوحدة ويفنى المتناهي في اللامتناهي، حيث لا يرى الصوفي لنفسه ولا للعالم الخارجي وجودا، وإنما يرى الله وحده ويعرفه معرفة ذوقية عن طريق اتصاله به ويتحقق بوحدته الذاتية.

يعبر عنها الحلاج بقوله: "رأيتُ ربي بعين قلبي" (الحلاج، 1970، ص198)، فبعين قلب المحب يرى الصوفي محبوبه الحق، لامحدود بزمان ولا أين ولا مكان، فهو الحقيقة والموجود الحقيقي، وكل ما سواه موجود لا وجود له على الحقيقة من ذاته. ويعبر الحلاج عن استيلاء الحب الإلهي عليه، وتلاشيه فيه في ذروة الوجد حتى يمحى الشعور بالإرادة الإنسانية، ويستولي على قلبه شعور غامر بأن الواحد هو الكل، وليس ثمة إلا الواحد الأحد.

والله ما طلعت شمس ولا غربت ** إلا وحبك مقرون بأنفاسي

ولا خلوتُ إلى قوم أحدثهم ** إلا وأنت حديثي بين جلاسي

ولا ذكرتُكَ محزونًا ولا فرِحا ** إلا وأنت بقلبي بين وسواسي

(الحلاج،2007 ،ص216)

وهذه الذروة العالية من تصاعد الوجد الذي تتجلى فيه الأنا عبر مرآة الذات في شهودها، ويتجلى الحضور الإلهي على صفحة القلب عند العارف تلخص الأبيات وحدة الشهود. وتعكس هذه الأبيات دلاليا حالة، يتفاعل فيها الانفصال والاتصال، وهو يعيش حالا بين (الأنا)، (الأنت) محاولا تحقيق توحده عبر هذه الثنائية، ويعبر الحلاج عن وحدة شهود يوحد فيها ربه؛ لأنه تذوق وتيقن من أحديته التي تسيطر عليه وتسري في قلبه حتى

ISSN 2664-1682

شهده في كل شيء. وصار المحبوب هو الذي يحيا فيه، ويستولي على كيانه وجملته وأجزائه، فعبر عن فناء الإرادة الإنسانية في الإرادة الإلهية.

حويتَ بكلّي كلَّ كُلكَ يا قدسي ** تُكاشفني حتى كأنكَ في نفسي

أُقلّب قلبي في سواكَ فلا أرى ** سوى وحشتي منه وأنتَ به أُنسي

(الحلاج،2007، ص221)

تأخذنا الأنا الصوفية عبر هذا النص إلى تجليات التواصل والوصل ما بينها وبين المحبوب أو الكلي الجمال وعبر رؤية صوفية مسكونة بالحب الصوفي المتسامي عن الحسية، فتعكس الأبيات حنين الروح وشوقها كشعلة جعلت هذه الذات الصوفية بين البقاء والفناء والشوق والوجد، وتعكس جملة "أقلب قلبي" حالة الوحشة والاغتراب.

فهذه الأبيات لوحة صوفية محملة بإشراقات المجاهدة والتجليات، تصور الذات حين فنيت عن دائرة حسها فاتصل جزء معناها بكل المعنى المحيط بها، كما تعكس ذاتا صوفية قلقة حائرة بين ثنائيات لا نهائية (البقاء والفناء) (المحو والإثبات)، كما تعكس السفر الدائم في سبيل الكمال، والقلق الذي يعتري الصوفي في رحلته.

فهو يشعر بلوعة الاغتراب عن الذات الإلهية، ويعيش في ظلمة التفريق، ويعاني من الظمأ والحرمان الذي لا يرويه سوى حالة القرب التي يأمن فيها من اغترابه ويعود له الأنس بالمحبوب والسرور. فهو أي الصوفي في حال اغترابه كما يصفه أبو حيان التوحيدي: "الغريب من إن حضر كان غائبا، وإن غاب كان حاضرا. الغريب من إن رأيته لم تعرفه، وإن لم تره لم تستعرفه". (أبوحيان التوحيدي، 2005، ص263)

ISSN 2664-1682

فهذا حال الصوفي السالك إلى ربه أنه لا يقر له قرار؛ لأنه في تطلع دائم للوصول لهدفه؛ ولذلك عرف عن الصوفية أنهم في سفر مستمر، ويعنى السفر في مفهومهم توجه القلب إلى الحق، فالصوفي يظل في غربة وحيرة وشوق وتطلع إلى الحق، فيبذل جهده ويترقى في المقامات من أجل بلوغ ما يصبو إليه، ويسافر إلى المحبوب سفره الروحي ويعيش الاغتراب عن الخليقة، فتكون حالة الشوق والفناء كانت كالشعلة التي تضع الذات الصوفية بين ناري البقاء والفناء، والمحو والإثبات، وهذا ما يفصح بأن التجربة الروحية الصوفية تتصاعد وتتكامل تحت تأثير هذا المعراج في أحوال السالكين وواردات كل حال، وهذا التوهج للشوق، وهو يتلمس معراجه الروحي إلى الحضرة الإلهية، وتتصاعد حرارة العاطفة، حتى أصبح لسانا لتعبيره، فيقول:

فإن نطقتُ فكُلي فيكَ ألسنة ** وإن سمعتُ فكُلي فيكَ أسماع (الحلاج،2007، 232)

ويمكن القول إنها حال شهود الحق على صفحة القلب، حيث يتجلى الحق في صورة الإله المحبوب، وما دامت النفس لا تصل إلى مستوى الكمال يظل الألم والقلق يعصف بها لعجزها عن كمال الوصول، وتوقها إلى رفع الحجب المادية والتخلص من البدن؛ ولذلك يقول البسطامي في مناجاته لربه: "يا رب إلى كم بيني وبينك هذه الأنانية؟ أسألكَ أن تمحو أنانيتي عني حتى تكون أنانيتي أنت، فتبقى وحدكَ ولا تُرى إلا وحدكَ يا عزيز."(البسطامي، 2004، ص262)

هنا في ذروة وهج العاطفة وتأججها وهو ما بين بقاء وفناء، حضور وغياب، ومحو إثبات، لا يجد البسطامي فهما ولا تفسيرا للهوى الذي انفلت من أحكام الإرادة الشعورية، فتقف الذات العارفة وقفة حيرة من أمر الهوى الذي امتلكها، فإن لاح المحبوب أشرقت النفس، وإن استتر واحتجب فحسرة نابعة من مقام لم يكتمل بعد.

ISSN 2664-1682

إذن نحن أمام ذات تنوء تحت وطأة وجد غامر ولوعة جارفة من أجل التحقق بالقرب من الذات الإلهية والدخول في حضرتها، فالقرب والبعد مقامان يتحولان إلى معاناة مستمرة ومنبعا آلام وحرقة؛ إذ يقف العارف بموجبهما بين نارين، فالقرب شفاء له غير أن لحظاته سريعة، والبعد يضنيه.

فهنا يسيطر عليه هاجس المسافة وحرقة البعد والتوق إلى الوصول، وتكرار لفظة (أنانيتي) وأسلوب النداء بما يحمله من تضرع ورجاء تسهم في تناسل الدلالة ونموها، دلالة الشوق والحرقة والتوق واللوعة لوجود هذه المسافة مما يتيح لنا عن كثب التعرف على الذات المحبة في غمار معاناتها ، فهو يرى في الأغيار حجابا وظلاما يريد إزاحته ومحوه بأشعة الأنوار، كما أنه يرى فيهم وحشة؛ لأنه لا يستأنس إلا بأنوار محبته وأنوار العالم العلوي؛ لذا يتجلى في النص تشوق الصوفي لشهود العالم العلوي والتحقق فيه وطريقه إلى ذلك هو الغياب مجازا عن هذا العالم الحسي، والبدن كذلك بالنسبة له عائق وحجاب يمنع النفس من كمال الوصول ويحول دون اللقاء.

ولأن اليأس مما في أيدي الخلائق، والأخذ بالحقائق مبدأ الصوفية، فلا مقصود ولا محبوب إلا الله، من هنا كانت تجربة الصوفي الروحية وسفره الروحي في مقامات الحب، قائمة على التخلي والتحلي، على الإزاحة والعبور من أجل التحقق بالاتصال والوصول.

ذلك أن المكاشفة والتجلي تستلزم التخلي عن كل العوائق ومشاغل الذات الإنسانية التي تشكل أمامها حاجزاً وحُجباً، تمنع من الوصول إلى مقام القرب، ولا يكون ذلك إلا بالتحلي، والترقي في المقامات الروحية، وشهود الحق تعالى في كل الوجود، ورؤية الوجود في وحدة شهود الحق، يعبر عنها ابن الجنان الأنصاري الأندلسي في قوله:

ISSN 2664-1682

قريب مجيب ظاهر وهو باطن ** وجلَّ جلاله عن حجاب وعن ستر (ابن الجنان،1990، ص229)

وهكذا تتجلى في النص الصوفي سيرورة وتحولات التجربة الروحية، حيث يتجلى السفر من مقام إلى مقاما ومن حال إلى حال، غير أن الصوفي لا يمكنه أن يتحقق بالكمال، إلا إذا تجرد من ملذات الدنيا أو (السوي) وقطع طريقا تتعاقب فيها المقامات والأحوال إلى أن يصل مرحلة ينغمس فيها قلبه في ضياء الحضرة الإلهية؛ ولذلك يتصاعد الشوق عند الصوفي إلى الخروج من حياة كالموت، مادامت هناك حياة حقيقية يمكن تجاوز الحجب للوصول إليها، ويعبر يحي بن معاذ الرازي عن هذا المعنى بقوله:

يا حبيبي ومنيتي واشتياقـــي ** طال شوقي متى يكون لقاكَا

ليس سُؤْلي عن الجنان نعيمًا ** غير أني أريدها لأراكَـــــــا

(الأصفهاني، حلية الأولياء،2007، ص321)

في الأبيات السابقة تعكس المفردات بدلالتها وحمولتها البعد الوجداني للتجربة من خلال تكثيف المفردات ذات دلالة الشوق واللوعة والتوق إلى القرب التي تسيطر على فضاء النص، وكذلك النعيم والجنة التي ارتبطت بالتحقق بالقرب، حيث ينهل في نصه الإبداعي من معين تجربته الذوقية.

ويؤثث الرازي أبياته بياء النداء بما تحمله من دلالات الرجاء واللوعة وياء المتكلم في (منيتي) (اشتياقي) (سؤلي) وأراد بهذه الصيغة أن تكون موجهة للذات من أجل السمو بها نحو النور الكلي (الحق)، فهو يطلب الموت الذي هو حياة لأن به يتحقق القرب، ويتوق

ISSN 2664-1682

للتحرر والانعتاق من حياة ليست سوى موتاً في أسر المادي، وحجبا تحول بينه وبين محبوبه.

ويتجلى في شعر الصوفي تصويرا فنيا لصراع نفسي يحمل في مضامينه غاية تطهيرية، وتحررا للطبيعة الإنسانية من أسر الحس والمادة إلى كينونتها الداخلية، وهويتها الوجدانية والروحية، مما يعكس اغترابا نفسيا وفكريا يدفعها إلى التطهير والخلاص.

حيث تقوم فلسفة الموت لدى الصوفي على تطهير الذات، وتطلع لمعرفة أسرار وحقائق علوية وتتمحور غائية الصوفي التطهيرية في قوله تعالى: ﴿وعجلتُ إليكَ ربِ لترضى﴾ [طه: 84]، وتصور الفناء عن الغيرية، والتجرد للمحبوب الخالق؛ لأن علة الوجود عبادة الواحد الأحد.

3. 4 مقام الأنس: مناجاة الوجد في حضرة النور:

الموت عند الصوفي تحرر وانعتاق من الحجب وصولا إلى حياة حقيقية، فهو ثمن الحب، وثمن القرب واللقاء حيث الخلاص من "الأنا" أو الوجود الشخصي المتعين، والتحقق بحال تفنى فيها "الأنا" ويبقى فيها الشعور بالواحد الأحد.

حنين قلوب العارفين إلى الذكر\\ وتذكارهم وقت المناجاة إلى السر

أُديرت كؤوس المنايا عليهم\\ فأغفوا عن الدنيا كإغفاء ذي السُكر

فأجسامهم في الأرض قتلى بحبه\\وأرواحهم في الحُجب نحو العُلا تسري (القشيري،1995، ص463)

يتضح من خلال النص أن الذات الصوفية المحبة تحاول من خلال مجاهدتها الروحية أن تتجاوز المسافة ما بينها وبين العالم الآخر، ما بينها وبين المحبوب وبالتالي فهي

ISSN 2664-1682

تسعى للتحقق بالقرب منها من خلال المجاهدة، فهي تجسيد لمسافة الشوق بين الذات البشرية والخالق، والله هو "القريب البعيد بلا مسافة". عند الصوفي.

ففي الابيات السابقة تتجلى الذات المسكونة بالشوق، في حضورها وفنائها في حضرة الذات الإلهية، تعكس ذلك المفردات مثل: فأغفوا عن الدنيا، أجسادهم في الأرض وأرواحهم في الحجب، حيث تحمل جملة "فأغفوا عن الدنيا "دلالة الفناء عن الأغيار أي عن السوي، وهو فناء يعقبه بقاء تفيده كلمة "فأغفوا"، كما تحمل جملة "فأرواحهم في الحجب" دلالة شهود العارف للحق محبوبه حتى غاب وفني به

وهذا مما يجعل لغة الرمز والإشارة مهيمنة لأنها لغة باطنية تتساوق والتجربة الصوفية. وبما أن الصوفي يعيش في أحواله حالة شوق متصاعد فكان طبيعيا أن تعكس مفرداته صورة محملة بدلالات معرفية وروحية بمعاناتها ومدها وجزرها وتوقها.

والشعور بالأنا أو الذات عائق عند الصوفي يحول دون شعوره بالوحدة. وبالتالي يظل الهاجس التواصلي، هاجس المسافة والقرب مسيطرا على الصوفي. فيقول النفري في مناجاته إلى الله متضرعا القرب: "إلهي أفسح لقلبي في أنوار معارفكَ، وزكِهِ بالإخبات لقدسكَ، وتولَّهُ في كل ما قبلتهُ بجميل ولايتكَ (النفري،2005، ص503). وهي مناجاة تعكس صحو ومحو الصوفي بوقوفه في الحضرة الإلهية منفصلا عن السوي لا يشهد إلا جلال الحق وأحديته، كما تعكس المناجاة الأنس بالقرب من المحبوب ونورانية الشهود للحق على صفحة القلب، وتتجلى كمساحة لحميمية القرب ما بين الصوفي المحب الذي يستشعر احتياجه ومعاناة شوقه لمحبوبه وخالقه عبر هذه الحوارية.

ففي صيغة الابتهال والتضرع "إلهي أفسح لقلبي" تظهر حالة الصحو وما فيها من معاناة الشعور بالمسافة والشوق، كما تتجلى حالة المحو والبقاء بما تنطوي فيها من أنس في

ISSN 2664-1682

مقام الكشف في قوله "في أنوار معرفتكَ"، أي أن النفري في مناجاته يقر بعدم تحقق الوحدة الحقيقية، لأنها تبقى مجرد إحساس بها يملأ النفس لارتباطه بالواقع المادي وعلاقة الجسد أو الانية الإنسانية، والشعور بأن هذه الذات تمنعه من الإتحاد، فيتطلع لرفع الانية "الجسد المادي" وليس الإثنينية بين الإله والعبد. وفي مناجاة البسطامي أيضا يتجلى هذا الشوق والتوق لتجاوز المسافة، فيقول في مناجاته التي تشكلت في حوارية: –"قال لي: يا عزيزي كُن غيباً في غيبي، فقلتُ: أنت غيب نفسكَ في نفسكَ"(البسطامي،2004، ص261)

ويمكن القول أن الصوفي في حال اغتراب دائم توقا للتحقق بالقرب من الذات الإلهية، وشوقا للقرب من الجمال الازلي والحضرة الإلهية ونيل المحبة الخالصة فهي غربة كونية، غربة الروح التي تتطلع إلى تجاوز الوجود الحسي بوصفه غريبا، بالرجوع إلى الله والفناء فيه باعتباره الوجود الحق أو "الوطن الأصلي".

ولذلك يظل الصوفي مأخوذا في أمواج تأخذه بين القرب والبعد، ومسكون بالسفر إلى مواطن الحضرة الإلهية، يأخذه الشوق في مجاهدة متواصلة الى اجتياز كل مقام الى المقام الاعلى توقا إلى القرب، لأن حضوره لا يكون إلا بالله وحده.

وينتهي الصوفي إلى حقيقة التسليم الكامل كثمرة للحب، وترك العبد إرادته لإرادة معبوده وخالقه، فهو يقرب تلك المسافة الفاصلة بين الخالق والمخلوق يقول الحلاج في هذا المعنى: وظنوا بي حلولاً واتحاداً\\ وقلبي من سوى التوحيد خالِ. (الحلاج،2007، ص 264)

فحال الفناء يرتقي فيها الصوفي عبر مراحل متصاعدة متتابعة حتى يصل إلى حالة الوعي الصافي حيث يتجاوز في وعيه عالم الحس إلى إدراك الذاتية المطلقة ويصل منها إلى

ISSN 2664-1682

حالة عرفانية شعورية بمكاشفة المحبوب وقربه، وهذه هي جنة الصوفي، ونار الصوفي هي احتجاب الله عنه واستتاره.

وهذا يعني أن الصوفي لا يعيش بسطا معرفيا تاما وذلك لأنه يعاني قبضا معرفيا وجوديا، وتارة يشعر ببسط يتجاوز به المادي الحسي وتنطلق فيه روحه انطلاقا عشقيا، فمن خلال واقعه يرى نفسه مقيد في عالم الحس لا يستطيع منه مفرا، وهو يمعن في توقه وإلحاحه إلى التحرر من أسره، وهكذا يتصاعد الشوق إلى العالم العلوي ليعيش تجربة التسامي الحقيقي. وبالتالي يصبح جوهر التجربة الصوفية هو العيش في مسافة التوتر والشوق من خلال البنية التضادية وأمواج "البسط والقبض، البعد والقرب، الفناء والبقاء، الألم والسعادة" حيث تتلون الذات في شوقها وسعادتها وقلقها. وبالتالي تتجلى من خلال تجربته في الفناء معاناته وشوقه إلى القرب والاتصال بالله.

فالصوفي في حال فنائه يشرق قلبه بأنوار التوحيد شهوداً وحباً، يشبهه السهروردي كقمر عاشق للشمس، يظل في سيره ومنازله حتى يرتفع من منزلة الهلال إلى سمت البدر. وفي إبان تمامه تنعكس عليه أشعة معشوقته الشمس وتحرق كيانه الذي بطبعه ظلمة، فإذا نظر العاشق إلى نفسه لايبصر شيئًا إلا وجده مملوءا بهذا النور، فيصيح "أنا الشمس"، كما نطق الحلاج في تجليات وجده. (السهروردي، 1999، ص 164)

3. 5 الفناء: توحيد شهود الحق في سدرة منتهى الحب:

ارتبط حال الفناء عند الصوفي بالشهود، أي: شهود الحق لا غيره؛ إذ لا حال للعارف لأنه فنيت هويته بهوية غيره وغُيبت آثاره بآثار غيره، فالصوفي في حال وجده قد

ISSN 2664-1682

غلب شهود القلب بمحبوبه حتى غاب وفني فيه، فيقول: "ما رأيت سوى الله" (البسطامي، 2004، ص218).

وذلك مما يقودنا إلى مفهوم التوحيد عند الصوفي ويعبر عنه البسطامي: بأن لا يشهدكَ الحق إياكَ. حيث تفضي تجربته القلبية إلى شهود الحقيقة المطلقة التي تنتهي إلى أنه في الحقيقة لا قوام له إلا بالله تعالى. ولذلك حين سئل الحلاج كيف الطريق إلى الله تعالى؟ قال: "الطريق بين اثنين، وليس مع الله أحد". (الحلاج،2007، ص289)

وبلغة القلب المشرق بأنوار الحب يقول البسطامي:

عجبتُ لمن يقول: ذكرتُ ربي ** وهل أنسى فأذكرُ ما نسيت

شربتُ الحب كأسًا بعد كأس ** فما نفذ الشراب وما رويت

(البسطامي،2004، ص223)

يعبر البسطامي هنا تعبيرا رمزيا عن المسافة بين الله والإنسان، بين المحب والمحبوب، والعارف المحب يتجاوز المسافة بسفره في مقامات الحب والشهود، ويتحقق بهذه الرؤية القلبية. ومن خلال الأبيات السابقة يتجلى لنا ارتباط الذكر والشرب بدلالة الظمأ والمسافة والشوق في تجربة الصوفي الوجدانية والشعرية.

وفي قوله: "كأسا بعد كأس" يشير إلى سفره الروحي القلبي وصعوده في مقامات الحب والقرب، لكنه سفر لا اكتفاء فيه ولا ارتواء ولانهاية له، فكل مقام يتوهج فيه الشوق ويتصاعد فيه الظمأ إلى القرب ويأخذه إلى مقام أعلى في رحلة الفناء والكشف. يقول السهروردي:

وخاطبنا في سكرنا عند صحونا ** قديم عليم دائم العفو جبار

ISSN 2664-1682

فغبنا به عنا ونلنا مرادنـــــــــا ** ولم تبق فينا بعد ذلك آثار

سجدنا سجوداً حين قال تمتعوا ** برؤيتنا إني أنا لكم جـــار

(القشيري،1995، ص233)

فقلب الصوفي من خلال الأبيات يتجلى كمرآة، مرآة لمعاناة الوجد والشوق، ومرآة للحقيقة المطلقة بأنوارها وجمالها، حيث تتجلى وحدة تجمع الخالق والمخلوق، أو المحب والمحبوب، فالحق في البيت السابق يتجلى للعارف بالجمال، فيسمو ويتطهر ويتجاوز كل الحدود التي تفصله عن محبوبه، في لحظة وجد يمتزج بسكر روحاني ينشأ من إشراق وتجلي الجمال الإلهي على مرآة قلب المحبوب في حضرة المشاهدة، فتدهش الذات وتهيم.

وعبر تجدد الفناء والشهود يتحقق الصوفي بمعرفة الحق وعبر هذا الكشف المتجدد يتجلى لنا أن معرفة الله عند الصوفي هي تجدد مستمر وكشف متواصل. وعبر (لفناء) و(الشهود) يتحقق للعارف الخروج من حالة الصحو المادي والدخول في حالة (المحو)، حيث يتأسس الفناء على مواجيد الأنا وسفرها الروحي وتحولاتها في الغيبة والشهود والفناء والبقاء والانفصال والاتصال، كما يتحقق لهذه الأنا وعيها بذاتها وبقائها بالموجود الحق، بشهود الحق الواحد المطلق، فوحدة الشهود التي يشهد فيها الصوفي وحدة الألوهية هي حالة شعورية ذوقية تعبر عن (الفناء في التوحيد).

وهكذا تتجلى الرمزية الشعرية عند الصوفي، مشرقة بالمعاني كمرآة قلب العارف في حال شهوده لكنها متعالية على المباشرة، ومنفتحة على اللانهائي في تنوع تجلياته التي لا تنفذ، فتعكس الأبيات الحال الذي وصل إليه الصوفي بفعل الوجد الذي يسمو بالنفس إلى عالم أرفع، وبالتالي يتأسس الفناء لدى الصوفي على حقيقة التوحيد، ويتجلى ذلك في قول

ISSN 2664-1682

الحلاج حسب الواجد إفراد الواحد له. (الحلاج،2007، ص241). والواجد هو الصوفي الذي يقر بتفرد وتوحيد وعظمة خالقه ومحبوبه.

تلك هي حال الفاني عن الغيرية (الخلق) الباقي بالحق؛ إذ تفضي به التجربة من مسافة (الأنا والأنت) إلى (الهو)، أي أنها تقوده إلى الفناء في الألوهية بشهود القلب لمحبوبه وخالقه، شهود التوحيد وتجلي القلب بالمكاشفات واشراقات النور على صفحة القلب، فتلك هي سدرة منتهى الحب الإلهي.

والفناء وهو قطع وموت عن السوي حيث يتحرر الصوفي من أسر الجسد والوجود والسفر إلى عالم الحقيقة اللامتناهي حيث الكمال، وهو سفر يحمل معاني الألفة والاتصال والقرب في علاقة الخالق بالمخلوق، حيث يغترف فيها الصوفي المحب من أنوار وفيوض الحق (نور السماوات والأرض)، في مقامات الحب.

فأساس تجربة الصوفي هي المحبة الإلهية، فالله يُحِب ويُحَب، ﴿يحبهم ويحبونه﴾ [المائدة: 54] وهو فطرة كامنة في الانسان وحالة شهود الحضور الإلهي ومحبته وسلطانه في القلب تجل لتمكن عقيدة التوحيد في القلب لا تحمل على الحقيقة معنى الانقسام أو الامتزاج، فهو ليس منفصلا عن خلقه؛ لأنه أوجده، وليس بتابع له لأنه المطلق فلا يتبع المحدث.

وهو (توحيد وجد) أو توحيد عاطفي شهودي، يحافظ على حقيقة التنزيه عن كل حدوث للواحد الأحد، ويبحث في صيغة توحيد للواحد الأحد تنطوي على معاني القرب والاتصال، لذلك كان فناء الصوفي، فناء الموحد بشهود قلبه، والمستغرق بكيانه في مقام الحب والتوحيد الشهودي القلبي للمحبوب الحق تعالى.

ISSN 2664-1682

فتجربة الفناء هي توحيد شهودي يتأسس على الحب تحمل معاني الخضوع التام، والتسليم المطلق لله تعالى، وعلاقة الحب هنا هي إقرار لإرادة الله وتسليم مطلق لها. فالصوفي في حال وجده إذا سطعت له الحقائق بهرته فتكون مكاشفاته متلفعة بالرمز، وإذا تلطفت الرؤية جاء واضح البيان. وحين تأخذه السكينة وتعظم المحبة في باطنه، يشرق نور بصيرته وينتهي الصوفي إلى التسليم الكامل كثمرة للحب ويترك إرادته لإرادة معبوده فهو أراد ألَّا يريد.

وسواء أكان في مقام الفناء (الوصل) أم في مقام البقاء (الفصل) فإنه سيظل مخلصا لهذه الحقيقة الإلهية والتي لا يستشعر حضوره إلا بها ومعها وهذا أعلى درجات الحب والمعاناة الوجدانية التي يعيشها الصوفي في تجربته العرفانية.

4. الخلاصة

إننا أمام تجربة متفردة حيث تتضح في مناجاة الصوفي وتجليات الحب الإلهي في مكاشفات الصوفي، حيث قلق الذات في لغة المناجاة في مسافة الشوق والتوق والإقرار ببون شاسع لا يمكنه تجاوزه، وهنا تتجلى الثنائية التي ظلت بين الصوفي كعابد محب أضناه الحب والعبودية في مرتبة أدنى، والله عز وجل في مرتبة أعلى، والعلاقة هنا هي علاقة عابد ومعبود يفصلهما ويفرقهما بين، ولعل ارتقاء نفسه إلى مقام السر هو الذي جعله لا يأنس بالكون وآثاره ويراه مستوحشا لأن قلبه أنس بفضاء أرحب وأسمى.

وتأتي مناجاة الصوفي الوجدانية ومكاشفاته في لغة صوفية لديه تتميز بمصطلحاتها الخاصة وأساليبها المتفردة التي لونتها بصبغة ذات خصوصية عن النصوص الإبداعية العامة في خصائصها الموضوعية والشكلية، فحقق الصوفي من خلال مكاشفاته في الحب الإلهي

ISSN 2664-1682

عبر نصوصه وصلا ذاتيا بين عالمه الروحاني ومعجمه الفني، كما عبر من خلالها عن سر حيرته الوجدانية وألمه وتوقه للمطلق في معراجه الروحي الذي لا يستقر عند مقام ولا حال، لأنه سفر روحي متجدد للتحقق بالقرب في رحلة الحب الإلهي، وبالتالي يظل النص الصوفي فضاء مفتوحا لاكتشاف الحقائق الصوفية، والتعرف على مخزونها الجمالي والدلالي وبعثها من جديد في بحوث أكاديمية.

قائمة المراجع

أدونيس، علي (2006). *الصوفية والسريالية*، بيروت: دار الساقي.

الأصبهاني، أبو نعيم (2007). *حلية الأولياء*. بيروت: دار الكتب العلمية.

البسطامي، أبو يزيد (2004). *مجموعة الأعمال الكاملة*. دمشق: دار المدى.

بهجت، منجد (1990). *ديوان ابن جنان الأنصاري*. بيروت: دار صادر.

التلمساني، أبو العباس (1968). *نفح الطيب*. بيروت: دار صادر.

التوحيدي، أبو حيان (2005). *الإشارات*. *القاهرة*: دار التراث.

الحلاج، الحسين (2007). *ديوان الحلاج*. بيروت: دار الكتب العلمية.

الداية، محمد (1998). *أبو البقاء الرندي شاعر الأندلس*. الرياض: عالم الكتب للطباعة والنشر.

السهروردي، أبو الفتوح (1999). *عوارف المعارف*. بيروت: دار الكتب العلمية.

الطوسي، نصر الدين (2001). *اللمع*. القاهرة: دارا لمعارف.

القشيري، عبد الكريم (1995). *الرسالة القشيرية*. القاهرة: دار المعارف.

النفري، محمد (2005). *المواقف*. بيروت: دار الكتب العلمية.

ISSN 2664-1682